المحاضرة الأولى: علم الاجتماع النشأة والتطور

تمهيد

إن الدارس لتاريخ العلوم يقر للوهلة الأولى أن انفصال علن الاجتماع عن الفلسفة وقيامه كعلم جديد، ومستقل بحدوده الواضحة لا يزيد عن مائة وخمسين عاما على الأكثر، لكن هذا لا يعني أن البشرية لم تهتم بقضاياه وموضوعاته الاجتماعية سابقا، فالباحث فيها يكتشف أنهم تطرقوا، وعالجوا العديد منها خاصة تلك المرتبطة بالحياة الاجتماعية اليومية ومشكلاتها، هذه الأخيرة التي تعتبر المقام الأول المطروح بالدراسة العلمية في علم الاجتماع.

1-تعريف علم الاجتماع:

1-1 التعريف اللغوي:

إن مصطلح السوسيولوجيا يتكون من لفظتين سوسيو وتعني الاجتماع و لوغوس وتعني الدراسة/العلم، وعليه فهو الدراسة العلمية للمجتمعات التي تعتمد على الملاحظة العلمية والوصف والتفسير والفهم والمقارنة التحليلية للمواضيع والظواهر الاجتماعية.

1-2 التعريف الاصطلاحي:

تنوعت تعاريف علم الاجتماع بتعدد التوجهات النظرية للباحثين والعلماء، إلا أن جلها انصب في منحنى الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية على اختلافها، بحيث نجد:

-ايميل دوركيام "فيرى بأنه العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية وجميع أنماط الحياة والظواهر والمشكلات الاجتماعية بصفة عامة.

ويشير تالكوت بارسونز" انه العلم الذي يهتم بدراسة الأنساق الاجتماعية.

-أما ماكس فيبر"فيرى بأنه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم وتفسير الفعل الاجتماعي

-كما يعرفه ابن خلدون بقوله"ما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر على بعضهم البعض، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، واثر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال، وما لذلك من العلل والأسباب.

2-موضوعات علم الاجتماع

يرى اوغست كونت أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية في حالتي الحركة والثبات، وقد قسمه إلى قسمين:

- الستاتيكا الثبات والاستقرار الاجتماعي: محوره النظام، وهو يركز على دراسة العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية، كالنظام الديني والنظام الحكومي والاقتصادي والتربوي..الخ. وهذا الفرع يدرس التوافق بين الاجتماعي دراسة تشريحية تعتمد على تطبيق المنهج الوضعي الذي يقوم على الملاحظة.
- الديناميكا: الحراك أو التغير الاجتماعي: وهو الحركية والتطور في المجتمع.

واتفق العلماء على تحديد المواضيع السوسيولوجية الأساسية في:

- دراسة الظواهر الاجتماعية الحاصلة داخل المجتمع مثل: الانحراف، الانتحار....الخ
- دراسة العمليات الاجتماعية مثل: العلاقات، الاتصال، الإنتاج...الخ
- دراسة الثقافة: العادات التقاليد، الموروث الاجتماعي، الدين...الخ
- دراسة التغير في البناء والنسق الاجتماعي والثقافة: مثل ظهور الحرمات الثورية، الغزو الثقافي..

3-تطور الفكر الاجتماعي:

يعتبر الفكر الاجتماعي في مفهومه العام عن كل المعتقدات والاتجاهات التي يزخر بها العقل البشري فيما يخص الذات الإنسانية، وعلاقة الإنسان بغيره وكل ما يحيط به في بيئته.

أولا: الفكر الاجتماعي في الحضارة الفرعونية:

تجلى أساسا في الآثار التي خلفتها شاهدة على الرقي الحضاري والتطور الاجتماعي، وحياة البذخ والعناية التي يحظى بها الفراعنة عند دفن موتاهم، إضافة إلى التقسيم الطبقي للمجتمع الفرعوني، حيث تميز ب:

1- تقديس وترويج فكرة "الحاكم الاله"(الملك فرعون) كأحد حقوق القدسية للإلهة.
2- ارتكز على النظام الديني في تسيير الحياة الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية
3- يمثل باكورة لتفكير الاجتماعي لتأكيده على مفهوم النظام الأسري كأساس للاستقرار الاجتماعي والمدينة والتقسيم الطبقي.

ثانيا: الفكر الاجتماعي في الحضارة الصينية:

تميز بالصراعات القائمة بين التيارات الدينية 'الكونفوشيوسية والتاوية والماوتسي'، ويعتبر كونفوشيوس مؤسس المدرسة الاجتماعية في الحضارة الشرقية القديمة وما لها من إسهامات واثار ف الكثير من الدراسات الاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية للصين قبل الثورة الشيوعية المعاصرة، ويشكل النظام الطبقي الصيني القديم في أعلاه من الإمبراطور وأسرته، ثم طبقة الأمراء والإشراف، وأخيرا الطبقة العامة، وقد أكد كونفوشيوس أن النظام الاجتماعي الناجح يركز على الدين، والتعليم والتخطيط هو الأساس الوحيد للفضيلة والحضارة.

ثالثا: الفكر الاجتماعي في الحضارة اليونانية:

اهتموا فيها الفلاسفة اليونان بقضايا الإنسان والمجتمع، وتطرقوا إلى الحرية الفردية باعتبار الفرد النواة الأساسية للجماعة، وارتكاز حياتهم السياسية على النظام المحلي الإقليمي والافتقاد للحكومة المركزية، مما ساهم في تطور الدراسات الفلسفية والاجتماعية، ويعتبر "سقراط"أول من وجه الفكر الإنساني المنظم للتأمل الفلسفي في الطبيعة والمعرفة المحضة، واعتبر"أرسطو" الإنسان مخلوق يفكر في ما حوله وحيوان اجتماعي، وقام بوضع قواعد المنطق الأرسطي . أما بالنسبة ل"أفلاطون" فقد تبلور في تصوراته العقلية وأفكاره المثالية التي جسدها في مؤلفه "المدينة الفاضلة" حيث يرى أن المدينة في أبعادها تمثل المجتمع الكبير، وقسم الهرم الطبقي للبناء الاجتماعي غالى طبقات خصها بوظائف معينة، تتدرج من الأعلى إلى الأسفل كالتالي: الحكام، الجند، العمال والفلاحين والصناعيين.

رابعا: الفكر الاجتماعي في الحضارة الإسلامية:

عرف المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى تطورا راقيا وحضاريا على جميع الأصعدة: الحياة الفكرية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية والاقتصادية، نتيجة لإتباعهم مبادئ الدين الإسلامي وتأثرهم به، وانتهاج الوسطية والاتزان، وتقديس الإسلام للحياة الاجتماعية والحفاظ على العلاقات والروابط الاجتماعية، وانفتاحه على الحرية والتفكير، والتدبر، والاجتهاد الفكري في معالجة القضايا الاجتماعية وتفسير الأحداث والوقائع، لذلك نجد إسهامات الكثير من العلماء المسلمين "الفرابي"، "أبو حامد الغزالي"، "ابن طفيل"و"عبد الرحمان ابن خلدون"الذي وضع الأسس العلمية المنهجية لعلم الاجتماع كعلم مستقل أطلق عليه"العمران البشري"

خامسا الفكر الاجتماعي في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

عندما كانت الحضارة الإسلامية في أوج قوتها كانت أوروبا تعيش خلال القرون الوسطى عصور الظلام، وكان التفكير الديني الكنيسي مسيطر على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واستبعد العقل الإنساني لدرجة التحكم في الحياة الشعورية واللاشعورية ولا يملك حق التفكير المستقل، والوحيد

الذي يمكنه التصرف واتخاذ القرار هم رجال الدين، ثم بعدها شهدت أوروبا خلال القرنين 15 و16 بداية عصر النهضة التي عرفت قطيعة معرفية تاريخية فاصلة على كل المستويات الاجتماعية من المرحلة الوسطى والانتقال من التفكير ما قبل الميثافيزيقي، ويرجع الفضل في ذلك إلى: الحروب الصليبية؛ الثورة الصناعية؛ الثورة الأمريكية(1977)؛ الثورة الفرنسية(1989).

وانتعشت بعد ذلك حركة التنوير بالفلسفات والأفكار العقلية الخاضعة لمنطق العقل والعمليات البحثية الميدانية بإسهامات العديد من العلماء أمثال "جون جاك روسو" "توماس هوبز" ..الخ، والدين أكدوا على ضرورة نقد الحياة الاجتماعية، والفساد الأخلاقي، والتحرر من القيود المعرفية، السحر والشعوذة والمضي نحو الفكر العقلاني الوضعي.

4-نشأة علم الاجتماع:

عرفت فرنسا واهم البلدان الأوروبية في القرن 18 وبالخصوص في القرن 19 تغيرات عميقة. انه واقع جديد زعزع دعائم النظام الاجتماعي القديم ومهد لظهور إشكالية سوسيولوجية خاصة، تتعلق بقضايا الرباط الاجتماعي وعوامل التغير الاجتماعي.

"بدأ علم الاجتماع في الظهور كعلم مستقل منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر بظهور فكرة القوانين الوضعية، وخضوع الظواهر الاجتماعية كغيرها من الظواهر لقوانين تسيرها وتطورها اعتمادا على التفكير العلمي، واخذ هذا الاتجاه العلمي يقوى شيئا فشيئا محاولا التغلب على الاتجاهات الفلسفية، وحصل هذا عندما دعي "توماس مور" إلى نقد الحياة الاجتماعية في عصره وذم الفساد الأخلاقي ودعا إلى الإصلاح كون الثورة هي التي أفسدت بائع البشر ودفعتهم إلى القتال وشن الحروب. ترأس "توماس هوبز"فكرة العقد الاجتماعي كونه يرى الإنسان أناني بطبعهن وان قانون الطبيعة هو القانون السائد ، وطبيعة الإنسان تنطوي على قدر من الغدر لان الإنسان يتطبع بطباع الغاب واجتماعية الإنسان ما هي إلا حيلة من ذكاء الإنسان اهتدى إليها لتكوين المجتمع. أما "جون جاك روسو"فكان فكره عكس الأول حيث قال بان حياة المجتمع ليست من فطرة الإنسان وإنما اهتدى إليها بحكم حاجته إلى الاستقرار لذلك صور روسو الحياة الإنسانية الأولى بأنها حالة شقاء وتعاسة يطغى عليها الصراع، والتنازع وعدم الاستقرار لكون الإنسان طيب بفطرته مجبور على حب وفعل الخير.

5-أهداف علم الاجتماع: يمكن اختصار أهداف علم الاجتماع في النقاط التالية:

1. الكشف عن الظواهر أو الوقائع التي تتصل بالأفراد ومحاولة التعرف عليها بدقة وشمولية من حيث أبعادها وطبيعتها ومدى انتشارها وتكرارها داخل المجتمع
2. تحديد العلاقات التي تحكم الظواهر المدروسة بغيرها من الظواهر، وتحديد ما إذا كانت سببا أو نتيجة لغيرها من الظواهر أو تفسيرها
3. التوقع بما ستؤول إليه الظاهرة في المستقبل
4. التحكم والسيطرة على الظاهرة ومحاولة توجيهها لصالح الإنسان.

6-أهمية علم الاجتماع: يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. الدراسة العلمية للوقائع الحقيقية وحل المشكلات الاجتماعية
2. التأكيد على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع
3. المحافظة على النظم الاجتماعية
4. إدراك الفوارق بين الثقافات، وتشكيل رؤية نقدية عامة حول العالم وخاصة بالمجتمع الذي نعيش فيه
5. تطوير المجتمعات وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية
6. التنوير الذاتي والسلطات، وذلك بالتثقيف والفهم العميق للقوانين التي تتحكم في أنفسنا من جهة، وفهم الآخرين من حولنا من جهة ثانية، وظواهر المجتمع من جهة ثالثه، بحيث كلما ازدادت معرفتنا

بالبواعث الكامنة وراء أفعالنا وأساليب حركية المجتمع وتفاعلاته، كلما ازدادت قدرتنا على التأثير في المستقبل.